

القصر بالتقديم والتأخير في نهج البلاغة

دراسة بلاغية دلالية

الأستاذ المساعد الدكتور

عقيل عبد الزهرة مبدّر الخاقاني

المدرس

وردة صالح نغمّاش

جامعة الكوفة - كلية الآداب

القصر بالتقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة بلاغية

الأستاذ المساعد الدكتور

عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني

المدرس

وردة صالح نغماش

جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

تحدث العلماء عن إفادة التقديم والتأخير للقصر، وإنه من الأساليب المشهورة، وذهبوا إلى أنه يفيد القصر لتضمنه معنى (ما، وإلا). وكان من أوائل من ذكروا ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي في ضمن دراسته للتركيب في أسلوب التقديم والتأخير، وكذا سيويه في الكتاب (١) الذي أرجعه إلى العناية والاهتمام، جاء بعده ابن جني فعقد له فصلا في كتابه الخصائص (٢) وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهميته في اللغة، ورفض تفسير بعض النحاة والبلاغيين للتقديم بالعناية والاهتمام فقط، ووجه اللوم لسيويه لقوله، وهو يتحدث عن الفاعل والمفعول، ((وكانهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أغنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)) (٣) وأشار إلى أهمية البحث عن المعاني الإضافية للتركيب في كل قول، إذ قال: ((وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت هذه العناية، ولم كانت أهم؟)) (٤)، وهو يرى أن نظرتهم تلك أدت إلى تصغير أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوه، قال: ((حتى أنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه)) (٥).

ويكون المقدم في هذا الباب هو المقصور عليه باتفاق علماء البلاغة، ففي جملة: زيدا أكرمت، يكون المعنى: ما أكرمت إلا زيدا.

أما صور التقديم التي تفيد القصر فهي:

١- القصر بالتقديم في الجملة الاسمية:

ومنه تقديم المسند على المسند إليه كقوله تعالى (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ)^(١)، فقد قدم الظرف تعريضا بخمور الدنيا، والمراد أن خمور الآخرة بالخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمرة الدنيا (٧).

تقديم المسند إليه في الخبر الفعلي.

إذا تقدم عليه نفي أفاد القصر وجوبا عند الجرجاني نحو: ما زيد قال هذا (٨)، فيما خالفه السكاكي الذي ذهب إلى أنه يفيد التقوى ليس غير (٩). أما إذا وقع الاسم الظاهر قبل حرف النفي فإنه يحتمل القصر والتقوى عند الجرجاني، نحو: زيد ما قال هذا، وهو متعين للتقوى عند السكاكي (١٠). وسنعرض للصور الأخرى من التقديم في هذا الباب وما تؤديه من دلالات في موضعها من مباحث هذه الدراسة.

٢- القصر بالتقديم في الجملة الفعلية:

أ - تقديم الفاعل على الفعل.

وله دلالات كثيرة منها القصر، وقد تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني، فذكر أن جملة: زيد قد فعل، أو أنا فعلت، أو أنت فعلت، تدل على معنيين: الأول: واضح جلي وهو أنك تريد أن تقصر الفعل على فاعل واحد دون آخر، أي أنك - كما يقول - قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر (١١).

والثاني: أنك تريد تقرير المعنى وتأكيده لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا في نفسه، لإبعاد الشبهة، وتدفع الظن بأنك تريد التزيد وجعل منه قولك: هو يعطي

الجزيل، وهو يحب الشاء، فإنك بهذا تريد أن تؤكد للسامع أن إعطاء الجزيل وحب الشاء دأبه (١٢).

ب - تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بعد حرف النفي.

وقد فصل الجرجاني الحديث فيه وبين دلالاته، إذ قال: ((إذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: ما أنا فعلت، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول ثم يقول: وإذا قلت: ما أنا ضربت زيدا، لم تقله إلا وزيد مضروب، وأن القصد، أن تنفي أن تكون الضارب من أجل ذلك صح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاما، كقولك: ما قلت شعرا قط، وما رأيت أحدا من الناس، ولم يصح في الوجه الثاني، وكان خلفا (١٣) أن تقول: ما أنا قلت شعرا قط، وما أنا رأيت أحدا من الناس، وذلك ان يقتضي المحال وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، ورأى كل الناس فتنفي أن تكونه)) (١٤).

وبين الجرجاني أن هذا الكلام يقتضي معنيين: أحدهما مقبولا والثاني رديئا متروكا:

الأول: إن قولك: ما قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس، صحيح مقبول، أما إذا قلت: ما أنا قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس، كان خلفا من القول، لما فيه من تناقض واضح؛ وهو أن هذا القول قد قيل فعلا في الجملة الأولى، فلا يسوغ لك ان تقول في الثانية: وما قاله أحد من الناس.

الثاني: يعد صحيحا قولك: ما ضربت إلا زيدا، وليس صحيحا أن تقول: ما أنا ضربت إلا زيدا؛ لأن نقض النفي بـ(إلا) يقتضي أن تكون ضربت زيدا، فإذا قدمت ضمير المتكلم بعد حرف النفي، تكون قد نفيت ضربك إياه، ولا شك في أن فيه تناقضا بينا (١٥).

ج - تقديم معمولات الفعل عليه.

تحدث السيوطي في الإتيان عن تقديم المفعولات بقوله ((كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المفعول يفيد الحصر، سواء أكان مفعولا، أم ظرفا، أو جارا، أو مجرورا)) (١٦).

المبحث الأول

في الجملة الاسمية

١- في قصر الذل والهوان على من ينتظر النصر من أصحابه المتخاذلين:

((كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبَكَارُ الْعَمْدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمَتَدَاعِيَةُ، كُلَّمَا حِصَّتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرٍ، كُلَّمَا أُطْلِعَ عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌّ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جَحْرِهَا وَالضَّبْعِ فِي وَجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مِنْ نَصْرَتُمُوهُ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالَمٌ بِمَا يَصْلَحُكُمْ وَيَقِيمُ أَوْدَكُمْ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي، أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقِّ)) (١٧).

تبين هذه العبارات التي خاطب بها الإمام أصحابه من أهل الكوفة حجم الألم والمعاناة التي كان (عليه السلام) يكابدها بسبب تخاذلهم وتقاعسهم عن مواجهة العدو وركونهم إلى الراحة والدعة، وهو مع ذلك يداريهم لعلهم يفيقون ويعودون إلى رشدهم ويستشعرون الخطر الذي يهددهم من الحملات والغارات المباغطة التي يقوم بها أهل الشام، وقد شبههم بتشبيهات غاية في الدقة تعبر عن طبائعهم التي أتعبت الإمام (عليه السلام) في ذلك الوقت؛ إذ كان جلهم من المتخاذلين الأذلاء ممن اعتاد حياة الراحة فلا يحرك ساكنا ولا طاقة له على القتال ولو دفاعا عن النفس، فبدأ (عليه السلام) بالتشبيه لإيصال الصورة إلى المتلقي فشبههم أولا بالبكار

العمدة وهي النوق الفتية التي سرعان ما تنشدخ أسنمتها من الركوب وتبقى كذلك حتى يشد ظهرها ويستحكم سنامها، وهذا هو حال أصحاب الإمام (عليه السلام) من أهل الكوفة بعد موقعة صفين؛ فهم ضعفاء لا يقوون على القتال كما أنهم يشبهون الثياب المتداعية وهي الثياب الخلقة التي تتمزق لسبب بسيط وإذا خيطت من جانب شقت من جانب آخر وبهذا التشبيه يعبر (عليه السلام) عن تفرق لحمتهم واختلاف آرائهم فلا مجال لجمعهم على رأي واحد، ثم انتقل (عليه السلام) الى الحديث عن الخيبة والخذلان لمن يطلب النصره منهم قال (الذليل والله من نصرتموه) فحصر الذل بكل من يطلب النصره منهم؛ لان الذليل من أخذ في عقر داره فمن يستنجد به ذليل بلا شك؛ وقد جعلهم ذلك ممن لا يُنتفع بهم قال (عليه السلام) (من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) اختار لهم من أوصاف السهم أرداها؛ فالسهم الافوق هو السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر من السهم، المنزوع النصل (١٨) فهو سهم عديم الفائدة لا يؤدي غرضاً ولا يدفع عدواً (١٩).

نجد في هذا النص تضاداً واضحاً بين أساليب بلاغية عدة رسمت لنا لوحة معبرة تزخر بمشاعر مبدعها فمن التشبيه في قوله (كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبَكَارُ الْعَمْدَةَ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةَ) إلى الاستعارة في قوله (وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفُوقٍ نَاصِلٍ) إلى الكناية في (كُلَّمَا أَطْلَعَ عَلَيْكُمْ مَنَسْرًا مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جَحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا) ثم القصر بالتقديم والتأخير في قوله (الذليل والله من نصرتموه) وهي أساليب ذات جمال وروعة تمثل سمة من السمات التي تميزت بها خطب الإمام (عليه السلام).

وقد ورد القصر في اطار الجملة الاسمية ليبين ان صفة الذل ملازمة لمن يستنصرهم؛ لانها صفة ثابتة فيهم وقد جاء حديثه هذا بعد ان يأس منهم وأدرك ان لا فائدة ترجى منهم ، فجاء التعبير بالجملة الاسمية ليدلل على ثبات تلك الصفة فيهم وفيمن يستنجد بهم وهو من قبيل القصر الإضافي الذي أفاد التعيين

القصر بالتقديم والتأخير في نهج البلاغة..... (٤٠)

وقد قصر الموصوف (الذليل) على الصفة (من نصرتموه)، وقد تقدم الخبر على المبتدأ؛ لان الحديث في هذا الخطاب يقصد الى بيان حال القائد الذي يواجه حربا لا يجد ناصرا فيها، فالاهتمام هنا بالمسند إليه لذا قدم على المسند للاهتمام به ولقصر صفة الذل على من يستنجد بقوم ضعفاء.

٢. في قصر حال الإنسان على الضعف والمسكنة؛ لاتصافه بصفات تجعله في نظر الإمام مسكينا.

((مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ، مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلَمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتَنْتَنُ الْعِرْقَةُ)) (٢٠).

يشكل الإنسان في مفهوم الإمام علي (عليه السلام) غاية الوجود ؛ إذ أوجده تعالى ليكون خليفته في هذا الكون الذي خلقه فأحسن الخلق والترتيب، ورسم له (جل وعلا) طريقا أراد منه ان يسير فيه وفق الضوابط والقوانين التي اقرها له، ولكنه خالف الباري بوحى من النفس الأمارة بالسوء فاغتر بالدنيا وانخدع بزخارفها ولاشك في ان ذلك يوحى بضعف الإنسان أمام إغواء الأمور المادية في الحياة الدنيا وإيماننا منه (عليه السلام) ((بأن الشيطان الذي أغواه في الجنة لن يتوانى عن إغوائه مرة أخرى وهو على الأرض، وبالتالي سوف لن يتمكن من ممارسة الخلافة كما أوجبه الله ما دام ضعيف الحجة، مسلوب الإرادة، قليل الإيمان. هذه الأمور أوجبت أخذه بالتربية والتعليم حتى تستقيم نفسه ويقوى على مقاومة الضلالة والفساد، إلا أن هذه التربية، لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة لها بالواقع، بل تتخذ منها طريقاً ومنهجاً يعضده العلم والعمل والإيمان بهدف منفعة العباد وخيرهم)) (٢١).

الجدير بالذكر ان الإنسان كما يحمل ضعفا إذ((تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقه) فانه يحمل إلى جنبه قوة كبيرة، فهو كبير بعقله وان كان ضعيفا في جوانب أخرى.

لذلك شغلت المواعظ حيزا كبيرا في (نهج البلاغة) فالإمام (عليه السلام) رجل إصلاح وتربية بعد القرآن الكريم والرسول (ﷺ) ، وتمثل الموعدة الحسنة ركن رئيس من أركان تربية النفس عند الإمام (عليه السلام) الذي استضاء بالقرآن الكريم لإرساء قواعد تربوية متينة، جاء في القرآن الكريم (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (٢٢) ذكرت الموعدة الحسنة إلى جانب الحكمة؛ لان الحكمة (يراد بها التعليم والإرشاد والنصيحة، أما الموعدة فيراد بها التذكير والفتات النظر إلى ما يُعرف ويُعلم ولكنه - أي الانسان غفله أو تغافل عنه) (٢٣) وعليه ((فالحكمة يراد بها التنبيه أما الموعدة فيراد بها الإيقاظ)) (٢٤) فالإنسان قد ينسى وقد يتناسى حقيقة خلقه، وانه مخلوق ضعيف قد أحاطت به فيوضات الرحمن فرفعت من قدره ومنحته القدرة على سائر المخلوقات فهو لذلك بحاجة إلى مذكر وموقظ ومرب، والإمام (عليه السلام) احد أقطاب المدرسة التربوية للإنسان، ونجد جزءا كبيرا من دعواته التربوية في المواعظ الكثيرة التي احتواها نهج البلاغة بهدف ((تربية الإنسان المسلم، وترغيبه في الطهارة والنجاة من اسر الارجاس والأنجاس، والتحرر المعنوي من ربة الدنيا)) (٢٥) ويمثل تذكيره للإنسان بما فيه من ضعف وجهها من وجوه الوعظ؛ إذ يتبع ذلك الحديث دعوة الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يلحق الأذى بنفسه قال (عليه السلام) ((مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ، مَكْتُومُ الْأَجْلِ مَكْنُونُ الْعِلْلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تَوَلَّمَهُ الْبَقَّةُ، وَتَقَتَّلَهُ الشَّرْقَةُ وَتَنَتَّهُ الْعَرَقَةُ)) (٢٦) فهو مسكين، والمسكين في اللغة من لاشيء له، او من لاشيء له يكفي عياله (٢٧) فهو لا يملك من أمر نفسه إلا ما سمح به الخالق، فهو (مكتوم الأجل) فلا يعلم بمقدار عمره في الدنيا، (مكنون العلل) فلا يدري أي سقم من الأسقام قد يحل به (محفوظ العمل) فلا يغادر الرقيب صغيرة ولا كبيرة من أعماله في الدنيا إلا سجلها، (تؤله البقة) البعوضة، (وتقتله الشرقة) وهي دخول الشراب أو الطعام في مجرى التنفس

بدلاً من مجرى الطعام (٢٨).

وقد تقدم الخبر على المبتدأ في قوله ﷺ (مسكين ابن آدم) لان الحديث هنا في مقام بيان مسكنته التي ظهرت بمظاهر عدة منها انه (مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُوْلِمَهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتَنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ)، وحصر تلك الصفات بالإنسان دون سائر المخلوقات فهو وحده من اجتمعت فيه تلك الصفات، وقد ورد التقديم والتأخير في أطار الجملة الاسمية لكون الصفة ثابتة فيه ملازمة له على طول الزمان لا يمكن ان تتغير، والقصر قصر إضافي وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً، أفاد الأفراد لان الإنسان قد انفرد في اجتماع تلك الصفات.

٣- قال ﷺ في حصر العلم بحقيقة الرجل أرفيعة هي أم وضیعة بتقلبات

الزمن عليه وكيف يتعامل معها سلباً أو إيجاباً:

((أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ قَلَّ ذَلٌّ، وَمَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ كَثُرَ مَالُهُ رَأْسَ وَمَنْ كَثُرَ حِلْمُهُ نَبَلَ، وَمَنْ فَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَزَنَّدَقَ، وَمَنْ كَثُرَ مَزَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ ذَهَبَتْ هَيْئَتُهُ، وَأَفْضَلَ الْفَعَالِ صِيَانَةُ الْعَرَضِ بِالْمَالِ، وَفِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَانَفٌ، وَالْإِعْتِبَارُ يَقُودُ الرِّشَادَ، وَفِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ، وَالْأَيَّامُ تُوضِحُ السَّرَائِرَ الْكَامِنَةَ، وَكَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَ وَجْهَهُ الْأَرَاءَ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَاءِ، وَالتَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ، وَاشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى، وَالصَّبْرُ جَنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ، وَالْحِرْصُ عَلَامَةُ الْفَقْرِ، وَالْبُخْلُ جُلُبَابُ الْمَسْكِنَةِ، وَالْمُودَّةُ قَرَابَةُ مُسْتَفَادَةٍ، وَوُصُولُ مُعْدِمٍ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثَرٍ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ ضَاقَ خُلُقُهُ مَلَهُ أَهْلُهُ، وَفِي سَعَةِ الْأَخْلَاقِ كُنُوزُ الْأَرْزَاقِ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَمَامَ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الْأُسْتَعْدَادِ، وَلَا تُنَالُ نِعْمَةُ الْإِزْوَالِ أُخْرَى وَلِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قُوَّةٌ، وَلِكُلِّ حَبَّةٍ أَكْلٌ، وَأَنْتَ قُوَّةُ الْمَوْتِ)) (٢٩).

لا شك ان معدن الإنسان يتبين من خلال الظروف والأحوال التي يمر بها في حياته، فمنهم من تهتز نفسه لأبسط الشدائد التي يواجهها ومنهم من تمنحه المصائب جلداً وصبراً وخلقاً رفيعاً لسعة صدره واحتماله المكروه فان ((أصعب الوظائف حفظ العدل في الأمور في تقلب الأحوال وتبدل حالات الرجال وخصوصاً لمن كان فقيراً فأغنى، أو ضيعاً فصار رفيعاً، أو نال أمانة، ولا يقدر على ذلك إلا الأوحدي من الناس كالمعصومين أو المرتاضين المثقفين أو من تلاهم في التربية والدين)) (٣٠)، وقد أشار (عليه السلام) إلى العدول عن سبيل العدل لمن نال مالا بعد الفقر وشرفاً بعد الضعة، وأمانة بعد العطلة بقوله: (من نال استطال) أي يصول على غيره ويتحكم على الناس بميله (٣١).

وقد تقدم الخبر (في تقلب الأحوال) على المبتدأ (علم جواهر الرجال) لحصر الأسباب التي تساعد على معرفة جوهر الرجل بتقلبات الدهر من صحة وغنى ومرض وفقر وجاه وما أشبه، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً يفيد التعيين وقد ورد في إطار الجملة الاسمية لكونها من الأمور الثابتة التي لا تتغير فهي صفة ملازمة للبشر فليس من شك ان الظروف وما فيها من سعادة أو شقاء لها اثر رئيس في تشكيل المنظومة الأخلاقية له على مدى الدهور.

٤- في قصر صفة الظلم على الرجل الذي يتصف بثلاث علامات.

((لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ، يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ)) (٣٢).

تشكل العدالة التي تقف قبال الظلم إحدى القيم التي رجعت إلى الحياة والاعتبار بفضل الله تعالى الذي كرم الإنسان بالإسلام، فبعد ان كان الظلم والجور يسود المجتمع الإنساني وتنوء تحت ثقله الشعوب المظلومة أفراداً وجماعات جاء الإسلام ليدعو إلى العدل ونبذ الظلم ومراعاة الحقوق الواقعية والطبيعية، ليأخذ كل شخص استحقاقه في الحياة كل حسب عمله وقابليته.

وقد دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى ضرورة تحقيق العدل في نصوص كثيرة في نهج البلاغة؛ لأن ((العدل في نظر الإمام عليه السلام هو الأصل الذي يستطيع ان يصون توازن المجتمع ويرضيه ويهب له السلام والأمن والطمأنينة والاستقرار أما الظلم والجور والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى الظالم نفسه والذي يظلم لأجله)) (٣٣) فكيف بالمظلومين من المستضعفين الذين لاشك انهم في عين الله التي لاتنام.

وهذا النص احد النصوص التي تحدث فيها الإمام (عليه السلام) عن الظلم وبين العلامات التي يتميز بها الظالم من غيره وفي ذلك تحذير لكل لبيب في ان يتعد عن تلك الصفات المذمومة قال (عليه السلام) ((للظالم من الرجال ثلاث علامات، يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة ويظهر القوم الظلمة))، وذهب ابن أبي الحديد إلى ان قوله (عليه السلام) ((للظالم من الرجال ثلاث علامات)) يمكن أن يفسر على وجهين: الأول ان صفة ظالم تطلق على من يتصف بإحدى تلك الصفات الثلاث، كأن يعصي من وجبت عليه طاعته؛ لانه سيكون ظالماً له، من جهة وضعه اياه في غير موضعه، وهذا هو معنى الظلم في اللغة (٣٤) فمن يعصي من تجب عليه طاعته يكون ظالماً له؛ لانه يكون قد زحزحه عن مقامه إذ لم يطعه، وقد يكون ظالماً لانه قهر من دونه ممن له القدرة عليه، وقد يكون ظالماً بنصرته للظالم فيكون ظالماً مثله، والوجه الثاني: أن الظالم لا بد ان تجتمع فيه تلك العلامات الثلاث معا وهذا هو الأرجح.

ونجد ان الإمام (عليه السلام) قدم الخبر الجار والمجرور (للاظالم) على المبتدأ المعرف بالإضافة (ثلاث علامات) لإفادة القصر وهو كون صفة الظلم مقصورة على من اجتمعت فيه علامات ثلاث أو إحدى تلك العلامات كما ذهب آخرون، كما جاء بالمبتدأ نكرة تعرفت بإضافتها إلى ما بعدها؛ لان التنكير يفيد التفخيم والتهويل والمبالغة، فصفة الظلم حين تطلق على احد تحتاج إلى ما يؤكد لها فيها من

الكرهية في نفس الموصوف وكذا نفوس السامعين كما تحتاج إلى ما يشبه التنبيه وطلب الاهتمام من المتلقي لهذا الأمر الهام.

ونرى انه يمكن ان يكون قصر قلب؛ لانه يقلب اعتقاد السامع من حقيقة إلى أخرى فقد يعتقد شخص ما بان من وجدت فيه بعض العلامات لا يعد ظالما وانه قد يكون — مثلا — مدافعا عن نفسه من جانب ما، كما يمكن ان يعد قصر تعيين فيعين صفة من اجتمعت فيه تلك العلامات.

٥- قال ﷺ في الحث على مكارم الاخلاق، بقصر بعض الصفات الحسنة على من يمتلك بعضها من خصائصها:

((بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يَقْهَرُ الْمَنَاوِي، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ)) (٣٥).

وردت أحاديث كثيرة عن أهل البيت تتحدث عن مكارم الأخلاق وما فيها من الخير للإنسان في جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي من شأنها ان تحفظ كرامة هذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى على سائر المخلوقات، والإمام علي (عليه السلام) بوصفه سليل النبوة كان سباقا إلى حث الناس على التحلي بمكارم الأخلاق فدعا إلى الالتزام بالتقوى والتوكل والصبر والزهد والإنصاف والجود والحلم وغيرها من القيم الأخلاقية الرفيعة، وقد ذكر في هذا النص سبع صفات دعا المؤمنين إلى التزامها؛ لانها تضمن لهم حياة سعيدة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ ((بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يَقْهَرُ الْمَنَاوِي، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ)) نجد في هذه العبارات الموجزة البليغة سبع صفات أخلاقية توجب سبعا لحاملها، وبدأ ﷺ بالصمت لان اللسان آفة الانسان التي كثيرا ما ترديه في مواطن

الهلكة جاء عن الإمام الرضا ((ان الصمت باب من أبواب الحكمة، ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير)) (٣٦)، ثم ذكر (عليه السلام) (النَّصْفَةَ، وَالْإِفْضَالَ، وَالتَّوَاضُّعَ، وَاحْتِمَالَ الْمُؤْنِ، وَحَسْنَ السَّيْرِ، وَالْحِلْمَ)، ولا شك في ان إنصاف الآخر يؤدي إلى انعطاف القلوب إلى المنصف، والافضال والجود يكسبانه رضا الآخرين وشكرهم له، لان الافضال إنعام والإنعام يُشكر، والتواضع يكسب المتواضع رفعة؛ لان من يتواضع للعباد من الناس يرفع الله درجاته في الدنيا والآخرة.

ونجد ان الاهتمام هو السبب الأول في تقديم الصمت على الصفات الأخرى لما يمنحه من خير لصاحبه، قال الشيخ عباس القمي ((وقد رأينا مهابة العظماء عند ما يسكتون وينصتون كيف ينصت المجلس كله وكأن على رؤوس الجميع الطير ينصت المجلس كله دون أن يكون للعظيم سطوة أو سيف أو سوط وقد عهدنا ذلك عند علمائنا ومراجعنا في النجف الأشرف وعشنا في مجالسهم تلك الحالة فإنك تجلس بين أيديهم والمجلس ينصّ بالزوار ولا تحس بكلمة تخرج منهم يسمعون الحاضرون بل تجد الجميع في سكون هيبه للمرجعية و احتراماً لها)) (٣٧).

كما نجد تقديماً آخر في العبارة لكنه تقديم لسبب بلاغي وهو تقديم الجار والمجرور وهو الخبر على المبتدأ، قال (عليه السلام) (بكثرة الصمت) ، قدم الجار والمجرور وهو ظرف في موضع خبر للمبتدأ (تكون الهيبة) ((قدم عليه للاهتمام به وبيان أنه هو المقصود بالإفادة، وكذلك الحكمة في تقديم الجار على متعلقة في سائر الجمل)) (٣٨) وقد افداد التقديم هنا قصر بعض الصفات على اسبابها فالهيبة مقصورة على من ترك كثرة الكلام لان كثيره يخل بشخصية المتكلم، والتواصل بين الناس مقصور في الغالب على المنصفين من الاصحاب، وكذا الصفات الاخر في هذا النص قصرت على اسبابها بواسطة التقديم والتأخير.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا يتجاوز التأكيد الى المبالغة، وتحقيق المعنى ببلاغة وبيان، وأفاد التعيين؛ إذ عين مجموعة من الصفات التي ترتفع بالإنسان وتزينه.

المبحث الثاني

في الجملة الفعلية

١- في قصر السجود العبادي على الله تعالى:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمَهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ وَمُخَصِّبِ النَّجَادِ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزَلِّيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَوَحَّدَتْهُ الشَّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَّهَهَا، لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمْدٌ حَتَّى، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَ، لَا شَبَحَ فَيَتَقَصَّى وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوَّى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ لِحِظَةٍ، وَلَا كُرُورٌ لَفْظَةٍ وَلَا اِزْدِلَافٌ رُبُوعَةٍ، وَلَا انْبِسَاطٌ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا غَسَقٌ سَاجٍ يَتَقَيُّا عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعَقُّبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفُولِ وَالْكُرُورِ، وَتَقْلِيْبُ الْأَزْمَنَةِ وَالْدَّهْوَرِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحِلُهُ الْمَحْدَدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنَهَايَاتِ الْأَقْطَارِ وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِينِ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِينِ، فَالْحَدُّ لَخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلٍ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى)) (٣٩) تتكون هذه الخطبة من قسمين تناول الإمام عليه السلام في القسم الأول صفات الله تعالى، وخاطب في القسم الثاني الإنسان وبين آيات

القدرة الإلهية في خلقه، وقد استهل حديثه بصفات الأفعال، فذكر مخلوقات الله تعالى التي تدل على قدرته غير المتناهية، قال ﷺ:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ وَمُخْصِبِ النَّجَادِ))
وقد بدأ ﷺ بذكر تلك المخلوقات لأنها قريبة من الأذهان يدركها الجميع، فهي أمور عينية تراها العين ويدركها العقل ولا سبيل لنكرانها وقد جمعها في عبارات تدور حول محاور ثلاثة هي (السكن والماء، مادة الحياة، طعام المخلوقات) ولاشك في ان الإيمان بقدرة الخالق ستؤدي إلى الشعور بالشكر والامتنان وبالتالي صدق الإيمان بربوبيته، وقد بدأ الإمام بالحمد لخالق العباد ليهيئ الأذهان ويشعرها بوجود خالق لكل ما سيذكر، ثم عدد المخلوقات فقال (سَاطِحِ الْمِهَادِ) أي جاعل الأرض مهادا (٤٠) للمخلوقات، و(مُسِيلِ الْوَهَادِ) والوهاد جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة التي يدخلها الماء بيسر (٤١)، و(مُخْصِبِ النَّجَادِ) والنجاد جمع نجد وهي الأرض المرتفعة (٤٢)، ليشير إلى قدرته تعالى على إخصاب الأراضي المرتفعة التي لاتصل إليها المياه.

ثم انتقل ﷺ إلى عبارة ذكر فيها صفتين تعود إليهما اغلب صفاته جل وعلا بل ان صفاته الجلالية والجمالية تنبع منهما، قال ﷺ (لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بَلَاءٌ أَجَلٌ) فقد ((اثبتت الادلة العقلية ان الله تعالى واجب الوجود ليس له بداية ولانهاية، كان دائما ولا يزال، فوجوه عين ذاته وذاته مطلقة)) (٤٣) وعليه فان قوله ﷺ (هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بَلَاءٌ أَجَلٌ) نتيجة للعبارة (لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ).

وليس من شك في ان من كانت تلك صفاته جدير بالشكر والامتنان والتسليم والإيمان المطل بربوبيته وحده التي تقتضي السجود له وحده دون سائر المخلوقات وقد عبر ﷺ عن ذلك بقوله (خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَوَحَدَتْهُ الشَّفَاهُ) الجباه جمع جبهة ((يمكن ان يراد بالجباه الجباه الظاهرة، فيكون المراد جباه بني آدم، ويمكن ان

يراد بها جباه الذلة والمسكنة من جميع الخليقة)) (٤٤) والمراد من ذلك السجود لله تعالى وتوحيده، وقد ورد ذكر ما يدل على السجود في جملة تقدم متعلق الفعل عليه فقال ﷺ (خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ) تقدم الجار والمجرور على الفاعل ليقتصر السجود عليه تعالى فليس هناك من يستحق السجود إيماناً وتصديقاً وعبادة غيره جل وعلا، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً تحقياً، قصر أفراد؛ إذ أفردته تعالى بالسجود وهذا من الأمور التي يعتقد بها جميع المسلمين، لأن من السجود ما يكون تعبيراً عن الشكر ومنه ما يكون للتكريم مثل سجود الملائكة والجن لآدم ﷺ أما السجود للعبادة فلا يكون إلا لله تعالى وحده، وقد ورد في إطار الجملة الفعلية لأن السجود حدث يتكرر ما وجدت البشرية على وجه الأرض فهو فعل عبادي يتكرر في الصلاة اليومية، كما يأتي من العبد في ساعات حياته شكراً وامتناناً لخالقه

٢- في قصر لجوء جماعة من أهل آخر الزمان على القرآن الكريم في التعامل مع الفتن المضلة.

((وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا ظَنُّوا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرَكُوا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ، يَا قَوْمَ هَذَا إِبَانٌ وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٌّ مِنْ طُلُوعِ مَا لَا تَعْرِفُونَ، أَلَا وَإِنْ مِنْ أَدْرَكِهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسَرَّاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رَبَقًا، وَيَعْتَقَ فِيهَا رِقًا وَيَصْدَعُ شَعْبًا، وَيَشْعَبُ صَدْعًا فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ، ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيَرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغَبِّقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ)) (٤٥).

هذه الخطبة من الخطب التي ذكر الإمام ﷺ حوادث المستقبل فيها، كما اشتملت على الإخبار بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وما يجري

من الفتن قبل ظهوره ﷺ ، وأهوال يوم القيامة وما يحصل فيها من ثواب وعقاب.

وقد بدأ هذا القسم من الخطبة بذكر الضالين ممن يتركون الطريق الوسط فينحرفون يمينا وشمالا قال ﷺ: (وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا) واليمين والشمال طرفا طريق الضلال بدليل قوله ﷺ في خطبة اخرى (اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة) (٤٦) ثم بين مظاهر ضلالهم بانهم (ظَاعِنِينَ فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَارِكِينَ لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ) فمسالك الغي هي الرذائل، ومذاهب الرشد هي الفضائل، وبين هذه وتلك يتبين معدن العبد، والكائن المرصد: هي الفتن التي وعد بها الناس في آخر الزمان التي لا بد من وقوعها التي اخبر بها الرسول ﷺ اهل بيته عنها، وكانوا دائما يسألونه ﷺ عن اوان وقوعها فامرهم بعدم استعجال ما مصيره ان يحدث عاجلا او آجلا، ثم ذكر ﷺ ان هناك جماعة تخرج في آخر الزمان يكونون على استعداد لمواجهة تلك الفتن، واذهانهم ستشحن وتعد لقبول العلوم والمعارف الإلهية كما يشحن الحداد النصل وقد استعار الإمام ﷺ لفظ الشحن لما بينهما من الاشتراك في الإعداد التام ((فهو يمضي في مسائل الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به)) (٤٧) لان الفتن تستلزم اختلاف آراء الناس وإحداث الفوضى وعدم الاستقرار في الوسط الواحد لان كل جماعة من الناس تقرأ الأحداث وترى العلامات برؤية مختلفة فهي تحتاج إلى شحن الأذهان ليتمكن الفرد من التعايش مع أحداث العصر بشكل سليم وليس من شك في ان كل فرد له مرجعية فكرية تعينه في قراءة لأحداث، وهنا بين الإمام ان هناك جماعة لن تستمد معارفها من غير القرآن الكريم ولن تستضيء بغير تفسيره لكشف أسرار الفتن التي يمكن أن تقع وسبل التعامل معها (٤٨).

ونجد في النص تقديمًا وتأخيرًا أفاد القصر في قوله ﷺ (تَجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ) إذ قدم الجار والمجرور على نائب الفاعل لقصر الوسيلة التي تلجأ إليها

تلك الجماعة في التعامل مع الفتن على القرآن الكريم فهم لا يرون غيره قادرا على تقديم العون والمشورة الصادقة الصحيحة، وهو من قصر الأفراد لانه افرد القرآن الكريم بتلك المهمة.

٣- في قصر غاية قوم يظهرون في آخر الزمان من قتال اصحاب الفتن على كونها جهاد في سبيل الله تعالى:

((وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَنَهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِيهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مَتَسَعاً، وَمِنْهَا فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ، يَحْفَظُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كُلِّبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نَقَمِ اللَّهِ، لَا رَهْجَ لَهُ وَلَا حِسَّ، وَسَيَبْتَلِي أَهْلَكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ)) (٤٩).

يشير الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى أحوال الناس في يوم القيامة وما يجري عليهم من أهوال، كما يذكر بعض الحوادث والفتن التي تأتي على الناس وتضيق الخناق عليهم حتى تظهر لهم جماعة من المجاهدين في سبيل الله فيقضون عليها.

تحدث عليه السلام في العبارات الأولى عن يوم الحساب (ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَنَهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِيهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مَتَسَعاً) أكد في قوله (وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ) إلى ان الله سبحانه وتعالى سيحشر العباد كلهم في يوم واحد لا يغادر منهم أحدا وكلامه هذا مصداق لقوله تعالى (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) (٥٠) واختار عليه السلام لفظ (النقاش) لانه يدل على الاستقصاء في الحساب (٥١)، وهذا ما يحصل في

يوم الجزاء إذ يحاسب العبد على كل صغيرة وكبيرة فيثاب عليها أو يعاقب، ثم وصف ﷺ حال الناس يوم المحشر بانهم خاضعين، قائمين، قد الجمهم العرق ربما خوفاً وخجلاً من سيء الاعمال امام القاضي العادل في المحكمة الالهية التي لاينجو فيها الا من اعد العدة وتأهب للمثول امام الباري باعمال تنجيه من العذاب الاليم.

ونرى ان الامام ﷺ قدم هذه العبارات التي تحدث فيها عن يوم الحساب وما يجب على العبد ان يقدمه فيها من عمل صالح ليهيأ الناس الى ما سيجري عليهم من فتن ويبين لهم ضرورة قراءة الاحداث قراءة صحيحة للتعامل معها بحكمة وروية وقد صورها تصويراً بارعاً يدل على انها فتن مضلة شديدة قال ((وَمِنْهَا فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَلَا تَرُدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ، يَحْفَظُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ)) قيل ان تلك الفتن تقع في العراق وفي البصرة خاصة، وهي فتنة شديدة وفوضى عارمة لا قبل للناس البسطاء بها لان مشيري هذه الفتن اقوياء اشداء يدخلون الميدان متسلحين بالعدة والعدد يقضون على كل من يصادفهم فهم اقوياء ولكن بالباطل لذلك شبههم الامام بقطع الليل المظلم التي لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية وقد شبهها بالناقاة المزمومة المرحولة يحفظها راكبها ليعبر عن استعدادها التام وانها متمكنة شديدة يمكن ان تسبب ضرراً كبيراً ان لم يواجهها الناس بقلوب واعية وافكار نيرة، ثم بين ﷺ ان هؤلاء القوم موجودون وسيتمكنون من القضاء على هذه الفتن، ورسم صورة لهؤلاء القوم قال ﷺ ((يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ)) ((فهذه طائفة من اولياء الله ذات المقام الرفيع لديه والشديدة في الجهاد في سبيل الله ستخمد نار الفتنة، كما تفقد هذه الطائفة منزلتها لدى المتكبرين بسبب زهداها في الدنيا وبعدها عن التظاهر والرياء، فهي مجهولة في الارض بين الناس، بينما معروفة لدى ملائكة السماء الخبيرة بباطن هذا العالم)) (٥٢).

ونجد تضافرا واضحا بين الاساليب البلاغية في اداء المعنى المطلوب فمن التشبيه في قوله ﷺ (فتن كقطع الليل المظلم) الى الاستعارة في (مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها ويجهدها راعيها) إذ استعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقيادة والركوب والجهد لانها من صفات الناقة وقد شبه ﷺ الفتن بالناقة فاستعار من أوصافها، كما كنى بالزمام والرحل ليعبر عن إكمال عدة الناقة وإعدادها للركوب فهي لا بد ان تكون مزمومة مرحولة كما كنى ((بقائدها عن أعوانها، وبراكبها عن منشئها المتبوع فيها، وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها)) (٥٣) يضاف الى ذلك التقديم والتأخير الذي أفاد القصر في قوله (يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ)، إذ قدم شبه الجملة (في سبيل الله) على الفاعل للاهتمام به وقصر الهدف من جهادهم أهل الفتن على كونها لله تعالى وهي ((بشرى يزفها الإمام إلى الناس وانه بعد تلك الفتنة وما وصف به أهلها سيبعث الله قوما يطلبون وجه الله في جهادهم)) وان كانوا مجهولين بين الناس أذلة عند المتكبرين من الحكام الضالين إلا ان الله يعرفهم وهو لا يجاهدون إلا في سبيله.

وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، ويمكن أن يقرأ نوع القصر هنا قراءتين بحسب المتلقي فإذا نظر إليه من جهة أي نوع من أنواع الجهاد كان من قصر التعيين إذ يعين الجهة التي يجاهد لأجلها المجاهدون، ويمكن ان يراد به قصر قلب لمن شك في انهم يجاهدون لإغراض دنيوية، فيأتي القصر هنا ليقرب اعتقادهم.

٤- في قصر الشكوى على الله تعالى دون العباد لانه القادر الذي لايرد طالبا.

((إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ وَدَعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَ بِهِ ضَالٌّ

عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جَهَالِ الْأُمَّةِ، عَادَ فِي أُغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهَدَنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجَنِ وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ، هَيَّا لَهَا حَشَوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ، لَا يَذَرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتِ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ، يُذَرِّي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ، لَا مَلِيٍّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ، لَا يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنْ مِنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لغيرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اكْتَمَّ بِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ، وَتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهْلًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سَلْعَةٌ أَنْفَقَ بَيْعًا، وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ)) (٥٤).

جاء هذا الكلام عن امير المؤمنين يصف فيه من يتصدى للحكم والقضاء بين الناس ممن يفقدون الاهلية لذلك المنصب لكنهم لايعترفون بجهلهم فيخطئون في حقوق الناس وقد صنفهم الامام عليه السلام على صنفين: الاول من يعلم انه على ضلال لكنه يستمر في ضلاله متعمدا ، والصنف الثاني الذي يتشبه بالعالم وهو قاصر عن الوصول الى مرتبة العلماء فهو عرضة للخطأ والزلل ، وربما اراد الامام عليه السلام — والله اعلم — بالصنف الاول حكام الظلم والجور ممن يعلمون بطلان حكمهم لكنهم لايرتدعون، والصنف الثاني هم الحكام الجُهلاء (٥٥).

وبين عليه السلام جزءا من النتائج السيئة التي تنتج عن تصدي فاقد الاهلية للحكم بين الناس بان الدماء تصرخ من جور قضائه، وتعج منه المواريث وقد نسب الصراخ الى الدماء، والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمراد اهل الدماء واولياء المواريث، او انها نسبت على سبيل الاستعارة إذ استعير لفظ الصراخ للدماء لكون صاحب الدم يصرخ الى الله شاكيا مما لحق به من ظلم، واستعير لفظ العجيج لاولياء المواريث والعجيج هو رفع الصوت لانهم يتصدون للتظلم والشكاية للمواريث المستباحة باحكام جائزة (٥٦).

ويلجأ الامام بعد ان صنف الاحكام والقضاة وبين صفاتهم الى الله تعالى ليث اليه شكواه من اناس عاشرهم وهم جهال ضالون مضلون تنفيرا منهم وتحقيرا لهم قال عليه السلام ((إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا)) فهو عليه السلام بهذه العبارات ((بين وضعهم وكيف عاشوا، انهم عاشوا جهالا لم يتذوقوا العلم، ولم يعرفوه وكان بامكانهم ادراكه والحصول عليه، هذا في حياتهم، واما موتهم فقد ماتوا ضالين منحرفين فاسدين ومن كانت هذه خاتمة حياته كانت خاتمة سيئة قبيحة)) (٥٧) وقد عبر عليه السلام عن الجماعة بقوله معشر لمعاشرة بعضهم بعضا وقوله (يعيشون جهالا) أي انهم يجهلون بالاحكام الشرعية التي تؤهلهم للقضاء بين الناس (ويموتون ضلالا) الي انهم يستمرون في حياة الضلال التي عاشوا عليها الى حين الممات.

وقد قال عليه السلام ((إِلَى اللَّهِ أَشْكُو)) بعد ان يأس عليه السلام من اصلاح امور العباد الضالين المضلين لذلك ((شكى الى الله تعالى من افراد الامة وزعمائهم حيث انهم سلكوا مسلك الشيطان وعدلو عن الحق وطريقه ولازم ذلك ثبوت وصفين لهم وصف في الدنيا ووصف في الآخرة)) (٥٨).

وقد تقدمت شبه الجملة على الفعل لقصر الشكوى على الله تعالى لانه جدير برفع الشكاية اليه من دون الخلق لان الخالق هو القادر على رفع الحيف والظلم

عمن خلق من العباد، والعباد لاشك عاجزون نصر بعضهم بعضا الا بمشيئة الله تعالى.

وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقا، وهو من قصر التعيين اذ عين الجهة التي يتوجه اليها العبد بالشكاية.

هـ. في قصر اختيار الانبياء على اولاد آدم ﷺ من دون الخلق جميعا:

((وَاصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِي نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دِفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تَحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تَفْنِيهِمْ وَأَوْصَابَ تَهْرِمِهِمْ، وَأَحْدَاثَ تَتَابَعٍ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مُحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سَمِيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا (ﷺ)، لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوتِهِ، مَاخُذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سَمَاتِهِ كَرِيماً مِيلَادُهُ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ مُلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَوَائِفُ مُتَشَتَّتَةٌ، بَيْنَ مِثْبَهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ (ﷺ) لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلُوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَخَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مَبِينًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرَخْصَهُ وَعِزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ

وَعَامَهُ، وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمَحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ مَفْسَرًا مُجْمَلَهُ وَمُمَيَّنًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَاخُودِ مِثَاقِ عِلْمِهِ وَمَوْسَعِ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضِهِ، وَمَعْلُومٍ فِي السَّنَةِ نَسْخِهِ، وَوَاجِبٍ فِي السَّنَةِ أَخْذَهُ، وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكَهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بَوَاقِيهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مُحَارَمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ غُفْرَانُهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مَوْسَعٍ فِي أَقْصَاهُ)) (٥٩)

هذه الخطبة هي الاولى في نهج البلاغة وتعد من اهم الخطب، فهي كما وصفها احد الشراح بمثابة فاتحة الكتاب؛ وقد اشتملت على اهم المسائل الكلية والجزئية التي وردت في خطب نهج البلاغة؛ إذ توضح للمتلقي الرؤية الاسلامية للصفات الكمالية والجمالية لله تعالى، كما تشير الى ((قضية خلق العالم بصورة عامة ومن ثم خلق السموات والارض والملائكة، كما تخوض في خلق آدم ﷺ وتعرض لقصة سجود الملائكة واعتراض ابليس وهبوط آدم الى الارض)) (٦٠) كما تطرق ﷺ فيها ((الى فلسفة بعثة الانبياء ولا سيما خاتمهم نبي الاسلام ﷺ)) الى جانب التحدث عن عظمة القرآن الكريم واهمية سنة النبي ﷺ) كما يتوقف عند مسألة الحج من بين الاحكام الاسلامية)) (٦١) بوصفها فرعا من فروع الدين لانه ((فريضة الهية كبرى تحتزن بعض الاسرار واللطائف، بالشكل الذي يمد المتبع لهذه الخطبة برؤية شمولية لاهم القضايا الاسلامية، من شأنها تقديم الحلول لكافة المصاعب التي تنطوي عليها والتي تعترض سبيلها)) (٦٢).

وفي هذا النص من الخطبة حديث عن مبعث الانبياء من قبل الله تعالى بعد ان خلقهم جل وعلا وانزلهم الى الارض ليعمروها، كما تطرق الامام ﷺ هنا الى العلة التي ارسل من اجلها الانبياء وما تضمنته دعواتهم وما قدموه لشعوبهم من الارشادات التي تؤهلهم لدخول الجنان، عارضا في اثناء ذلك اهم المشاكل

والصعوبات التي تعترضهم، فبدأ أولاً بالإشارة إلى أنه تعالى اختار الأنبياء من ولد آدم ﷺ لا من غيرهم، والاصطفاء هو الاختيار والاستخلاص (٦٣)، والضمير في (ولده) يعود إلى آدم ﷺ ولعل ((اصطفاء الله للأنبياء يعود إلى إفاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الإلهية من القبول و (الاستعداد)) (٦٤) فهم الاقدر على حمل الرسالة التي أوكلها اليهم الخالق واخذ منهم الميثاق على ادائها قال تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (٦٥) وقال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا) (٦٦) وقال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَقَ النَّبِيِّينَ) (٦٧) وذكر ﷺ الحكمة في ارسال الانبياء الى الناس وهو ان من الناس من بدل عهد الله وجهل حقه قال تعالى (يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) (٦٨) وقالوا (٦٩) فبعض العباد قد نقضوا عهد الله فانستهم الغفلة شكر الخالق وانساقوا وراء ملذات الدنيا الزائلة، واتخذوا اندادا لله لانهم نسوا ما عاهدوا الله عليه لذلك ولغيره رأت الحكمة الالهية ان يختص تعالى ((صنفا منهم بكمال اشرف يقتدر معه ابناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة، وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم، وهم صنف الانبياء)) (٦٩) وقد قصر تعالى اخذه الانبياء على اولاد ادم فقط أي ان الانبياء من بني البشر وليس من الجن او الملائكة — مثلا — وان اعترض منهم معترض.

وقد ورد القصر هنا بتقديم الجار والمجرور (من ولده — أي آدم —) على المفعول به (انبياء) وقد ورد في اطار الجملة الفعلية وكان الفعل فيها ماضيا لان الفعل الماضي قد يدل — في بعض المواضع — بحسب سياق الحال على الحال او الاستقبال وهنا جاء الفعل الماضي ليدل على حدث مستقبلي؛ لانه تعالى في التعبير القرآني اذا اخبر عن حدث سيأتي في الدنيا يستعمل افعالا ماضية وهي

كما يقول الزمخشري ((عادة رب العزة في اخباره؛ لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى)) (٧٠) يضاف الى ذلك ان الفعل الماضي اذا ورد في سياق الشرط فانه يدل على المستقبل المتحقق الثابت وقد ذهب الى ذلك ابن جني قال ان ((حديث الشرط في نحو: ان قمت قمت، جئت فيه بلفظ الماضي الواجب، تحقيقا للامر، وتثبيتا له، أي ان هذا الوعد موفي به لا محالة، كما ان الماضي واجب ثابت لا محالة)) (٧١) وقد ورد الحديث عن سبب اختيار الانبياء في سياق جملة شرطية استعملت فيها الاداة (لما) وكان الشرط والجزاء فعلين ماضيين التقدير: (لَمَّا بَدَلْ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ).

ومن الجدير بالذكر ان استعمال الفعل الماضي للدلالة على الحال او الاستقبال او استعمال المضارع للدلالة على الماضي مما عرفته العربية في لغتها وهو امر لا يخلو من نكتة بلاغية، أو لفظة بيانية، كدلالة المضارع على التجدد، والماضي على التحقيق، وقد افاد الامام عليه السلام وهو ربيب الرسول الذي نزل عليه القرآن الكريم من الاسلوب الفريد لهذا النص المقدس فجاء تعبيره دون كلامه جل وعلا ولكنه اخذ من جمال عباراته وروعة اسلوبه ما منح كلامه عليه السلام الجزالة والقوة والطلاوة حتى كان معجزا لغيره من المتحدثين.

والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف قصر تعيين لانه تعالى عين من يختارهم لخلافته في الارض من بين مخلوقاته المختلفة، وهو قصر حقيقي تحقيقي فلا ادعاء فيه ولا مبالغة.

ملخص البحث

يمثل هذا البحث دراسة لاسلوب القصر بالتقديم والتأخير بوصفه من

الاساليب المشهورة التي اتفق علماء النحو والبلاغة على افادة بعض صوره القصر، وذهبوا إلى أنه يفيد القصر لتضمنه معنى (ما ، وإلا) وقد قسمت الدراسة على مبحثين سبقتهما مقدمة وكان المبحث الاول في التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، والثاني في الجملة الفعلية بحسب المفهوم المتفق عليه عند النحاة: لان لكل منهما دلالة لا تحققها الاخرى وتلمسنا تلك الدلالات في عدد من الامثلة التطبيقية المستقاة من نهج البلاغة التي افاد فيها التقديم والتأخير القصر: ومنها:

١- القصر بالتقديم في الجملة الاسمية:

أ - تقديم المسند على المسند إليه.

ب - تقديم المسند إليه في الخبر الفعلي.

٢- القصر بالتقديم في الجملة الفعلية:

أ - تقديم الفاعل على الفعل.

ب - تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بعد حرف النفي.

ج - تقديم معمولات الفعل عليه.

ثم اثبتنا النتائج التي توصلنا اليها من خلال الدراسة وانتهينا الى قائمة المصادر والمراجع.

Abstract

This research studies the style of abbreviation with hysteron and proteron as one of the famous styles that the grammarian and rhetoricians agreed to give the significance of abbreviation as it has the meaning of (ma and Illa).

The research includes two topics preceded by an introduction. The first topic deals with hysteron and proteron in the nominal sentence, and the second deals with it in the verbal sentence according to the concept that the grammarians agreed upon, each has a significance that the other cannot achieve. These significances are studied in the applied examples taken from Nahjul-Balaghah where hysteron and proteron signify abbreviation such as:-

1- Abbreviation by hysteron in the nominal sentence:-

القصر بالتقديم والتأخير في نهج البلاغة..... (٦١)

- a- Hysteron the predicate to the subject.
 - b- Hysteron the predicate to the verbal subject.
 - 2- Abbreviation by hysteron in the verbal sentence:-
 - a- Hysteron the subject to the verb.
 - b- Hysteron the predicate to the verbal subject after the negation letter.
 - c- Hysteron the verb`s supplements.
- The results come in the conclusion followed by the bibliography.

هوامش البحث

- (١) ينظر: الكتاب ٤٢/١.
- (٢) ينظر: الخصائص: ١٥٨/٢ وما بعدها.
- (٣) الكتاب:
- (٤) دلائل الاعجاز: ٧٥.
- (٥) م ن: ٧٦.
- (٦) الصافات: ٤٧.
- (٧) ينظر مفتاح العلوم: ٣٣٥.
- (٨) دلائل: ٩٢-٩٣.
- (٩) ينظر: مفتاح العلوم، ١٠١-١٠٠.
- (١٠) ينظر: م ن، ١٠١-١٠٠.
- (١١) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٢٨-١٢٩.
- (١٢) ينظر: م ن: ١٢٩.
- (١٣) الخلف: الرديء من القول.
- (١٤) دلائل الاعجاز: ١٢٥.
- (١٥) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٢٥-١٢٦، واساليب القصر في احاديث الصحيحين ٦٣.
- (١٦) الاتقان في علوم القرآن ٣/١٥٦.
- (١٧) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٠٢/٦.
- (١٨) شرح نهج البلاغة: ١٠٢/٦.
- (١٩) توضيح نهج البلاغة: ٢٨١/١. وينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم: ١٨٩/٢، وشرح نهج

- البلاغة: سيد عباس القمي: ٤٠٩/١، ٤١١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٤٣/١، ونهج البلاغة
نبراس السياسة ١٨٥، ونفحات الولاية: ٧٧/٣.
- (٢٠) نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٦٢/٢٠.
- (٢١) النظام التربوي في الإسلام: باقر شريف القرشي/٤١.
- (٢٢) الحج/١٢٥.
- (٢٣) في رحاب نهج البلاغة: ١٣٦.
- (٢٤) م.ن: ١٣٦.
- (٢٥) م.ن: ١٣٩.
- (٢٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٦٢/٢٠.
- (٢٧) ينظر: لسان العرب، (سكن).
- (٢٨) ينظر: بهج الصباغة: ٣٣٨/١١، توضيح نهج البلاغة: ٤٦٢/٤.
- (٢٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٣٨/١٩.
- (٣٠) منهاج البراعة: الخوئي: ٢١/٢٨٨،
- (٣١) م.ن: ٢١/٢٨٨، وينظر: اختيار مصباح السالكين صفحة ٦٢٩، وتوضيح نهج البلاغة:
٣٦٣/٤. وشرح حكم نهج البلاغة: ١٥٦.
- (٣٢) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد: ٢٦٦/١٩.
- (٣٣) في رحاب نهج البلاغة: ٨٣.
- (٣٤) الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ينظر: لسان العرب: مادة (ظلم).
- (٣٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٤٨/١٩.
- (٣٦) الكافي: الكليني، ١١٣/٢.
- (٣٧) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي، ٣٨٠/٥.
- (٣٨) منهاج البراعة : الخوئي، ٢١/٢٩٣، وينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٤٨/١٩،
وتوضيح نهج البلاغة: ٣٦٥/٤، شرح حكم نهج البلاغة: ٨٢.
- (٣٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٢٥٢/٩.
- (٤٠) ((المهادُ : الفراش، وقد مَهَّدْتُ الفراشَ مَهْدًا بَسَطْتُهُ وَوَطَّأْتُهُ يقال للفراشِ مِهَادٌ لَوِثَارَتِهِ
وفي التنزيل (لهم من جهنم مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) الأعراف/٤١، والجمع أمْهَدَةٌ
ومُهْدٌ)) / لسان العرب: مهاد.

- (٤١) ((الوَهْدَةُ المَطْمَئِنُّ من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة والوَهْدُ يكون اسماً للحفرة والجمع أَوْهْدٌ وَوْهْدٌ وَوْهَادٌ))، لسان العرب: وهـ.
- (٤٢) ((النجد من الأرض: قفافها وصلابتها وما غلظ منها واشرف وارتفع واستوى، والجمع انجد وانجاد ونجاد ونجود ونجد..... ولا يكون النجاد الا قفا او صلابة من الارض في ارتفاع مثل الجبل معترضا بين يديك يرد طرفك عما وراءه))، لسان العرب/ نجد.
- (٤٣) نفحات الولاية: ٢١٨/٦.
- (٤٤) بهج الصباغة: ٥/١.
- (٤٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٢٦/٩.
- (٤٦) م.ن: ابن أبي الحديد، ٢٠٦/٣.
- (٤٧) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٢١٣/٣.
- (٤٨) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٣١٤، توضيح نهج البلاغة، ٣٦٠/٢، شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي، ٤٦٢/٢، في رحاب نهج البلاغة، ٧٢، نفحات الولاية: ٤٦٤/٥.
- (٤٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٠٢/٧.
- (٥٠) الواقعة/ ٤٩-٥٠.
- (٥١) ينظر: القاموس المحيط: مادة (نقش)، ولسان العرب، مادة (نقش).
- (٥٢) نفحات الولاية: ٢٥٨/٤، وينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٠٤/٧، وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ١٤/٣، وفي ظلال نهج البلاغة: ٩٨/٢، ومنهجا البراعة، ١٧٧/٧.
- (٥٣) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ١٤/٣.
- (٥٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٣٣/٦.
- (٥٥) ينظر: نفحات الولاية: ٣٦٦/١.
- (٥٦) ابن ميثم ٢١٨/١.
- (٥٧) شرح نهج البلاغة: السيد عباس القمي: ١٧٠/١.
- (٥٨) مفتاح السعادة: ٤٣٥/٤.
- (٥٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١١٣/١.
- (٦٠) نفحات الولاية: ٤١/١.
- (٦١) م.ن: ٤١/١.

(٦٢) م.ن: ٤١/١.

(٦٣) ينظر: لسان العرب: مادة (صفا).

(٦٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ابن ميثم: ٢٠٠/١، وينظر: اختيار مصباح السالكين: ٧٦، و توضيح نهج البلاغة: ٣٥/١، و حدائق الحقائق: ١٣٩/١، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١١١/١، وشرح نهج البلاغة: ابن ميثم، ٩٨/٢، وشرح نهج البلاغة: السيد عباس، ٤١/١، وشرح نهج البلاغة: القزويني، ٧٣/١، و في ظلال نهج البلاغة: ، ٥٦/١، ومفتاح السعادة: ، ٢٩٩/١.

(٦٥) الأحزاب: ٧٢

(٦٦) الأحزاب: ٧

(٦٧) آل عمران: ٨١

(٦٨) يس: ٦٠

(٦٩) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم، ٢٥٣/١.

(٧٠) تفسير الكشاف: ٦٠/٢.

(٧١) الخصائص: ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار ٨٥٦/٣.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإيتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا - بيروت، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.
- اختيار مصباح السالكين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨هـ .
- اساليب القصر في احاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية، د. عامر بن عبد الله الثبيتي، الطبعة الاولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة — السعودية، ١٤٢٥هـ .
- اختيار مصباح السالكين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨هـ .

- توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، تحقيق دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م.
- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: قطب الدين الكيذري البيهقي، تحقيق عزيز الله العطاردي، الطبعة الاولى، مؤسسة نهج البلاغة، نشر عطار، د.ت.
- الخصائص: ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دار الكتب المصرية، بيروت - لبنان، د.ت.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- شرح حكم نهج البلاغة: الشيخ عباس القمي، دار الانصار، قم المقدسة.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي البحراني، الطبعة الاولى، دار الثقلين للطباعة، بيروت - لبنان، ١٩٩٩م.
- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٢م.
- في رحاب نهج البلاغة: الشهيد مرتضى مطهري، الطبعة الاولى، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.
- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد: محمد جواد مغنية، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٧٩.
- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.
- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة الأولى، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- الكتاب: سيبويه: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه) (ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦م.
- الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وبذيله (الانتصاف) للامام احمد بن المنير الاسكندري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د.ت.

- لسان العرب، ابن منظور، اعتنى بتصحيحها، أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: السيد محمد تقي النقوي، الطبعة: الاولى، الناشر: انتشارات قائن.
- مفتاح العلوم: ابو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق وتقديم وفهرسة: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين ابي الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، اهتمام السيد محمود المرعشي، د.ط، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ .
- النظام التربوي في الإسلام: باقر شريف القرشي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت. ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بمساعدة مجموعة من الفضلاء: محمد جعفر الامامي، محمد رضا الاشتياني، محمد جواد ارسطا، ابراهيم البهادري، سعيد داودي، احمد القدسي، اعداد: عبد الرحيم الحمراني ، الطبعة: الاولى، الناشر: مدرسة الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام، دار جواد الائمة عليه السلام، ١٤٢٦هـ .
- نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية: مجموعة بحوث ومقالات قامت مؤسسة نهج البلاغة في طهران بطبعها سنة ١٤٠٤ هـ .